(دور التويزة كممارسة سوسيوثقافية اقتصادية في تحقيق الإستقرار المجتمعي)
" رؤية أنثروبولوجية»
" منطقة قورارة أُنموذجا"

د/ دوارة أحمد
أ/ شماخي موسى إسماعيل ، جامعة تيارت

ملخص:

تميزت مجتمعاتنا المغاربية ومجتمعنا الجزائري خاصة بعديد القيم التي تميزه عن غيره من المجتمعات، هاته القيم ساهمت في بقائه واستمراره رغم تعرضه لعديد الإهتزازت عبر سائر الأزمنة، من خلال عديد الممارسات السوسيوثقافية والإقتصادية التي تتماشى وخصوصيته. إن الوضعية الإقتصادية الصعبة التي تمر بها بلادنا تدعوا إلى تضافر كل الجهود المؤدية إلى تحقيق التنمية فالإستقرار، وهو موضوع بحثنا " التويزة " التي تنبذ قيم الفردانية وتدحرها وتحث على ضرورة استبدالها بقيم الجماعة، حتى تتحقق المصلحة العامة، وذلك من خلال الإستغلال الضروري للموارد البشرية، والإستفادة من الجميع كل حسب قدراته، "عضليا أو ماديا أو فكريا "، وهو ما يتجسد في منطقة قورارة " تيميمون "، من خلال " تويزة آفراك "، التي تساهم في فك العزلة عن السكان بنزع الرمال الغالقة للطرقات، دون انتظار للسلطات، وكذلك " التويزة المتعلقة بموسم الحصاد " والتي تؤدي إلى تقاسم المنتوج زمن الحصاد" كل حسب مساهمته، بالإضافة إلى " التويزة المتعلقة بحفر الفقاقير " التي تمول السكان بعصب الحياة " الماء "، وتزويج الشباب، والتويزة المتعلقة ببناء السكنات وغيرها من القيم الدالة على التكافل والتضامن الإجتماعي.

كلمات مفتاحية: دور التويزة ، ممارسة سوسيوثقافية اقتصادية ، الإستقرار المجتمعي

Abstract:

Our Maghreb societies and our Algerian society were distinguished by the many values that distinguish them from other societies. These values have contributed to its survival and continuity, despite the fact that it has been subjected to many vibrations throughout the ages through many sociocultural and economic practices that are in line with its specificity.

The difficult economic situation that our country is going through calls for all efforts to achieve development to be consolidated. Stability is the subject of our research, which is the object of our search for "bias" which rejects the values of individualism them to be replaced by the values of the community. And to benefit from everyone according to their abilities, "physically, materially or intellectually",Which contribute to breaking the isolation of the population by removing the closed sand of the roads, without waiting for the authorities, As well as the "twiza related to the harvest season," which lead to product sharing and harvest time, According to each person's contribution, as well as the"twiza for fagara "that funds the population the lifeblood of water, and the marriage of young people, and twiza related to the construction of housing and other values of social solidarity.

مقدمة:

أخذ مفهوم التويزة عدة مفاهيم قبل أن يصل إلى معناه الحالي، فقد سميت بـ" نوبة الجماعة " و" إنفلاس " فلو أخذنا مفهوم " إنفلاس " لوجدناه يشير إلى هيئة تمارس مختلف النشاطات الإدارية والسياسية وحتى القضائية وكانت تقوم بمختلف أعمال

الحرث والزرع إضافة إلى أعمال البناء وإقامة الأعراس وإكرام الضيوف وحتى في الحروب وأثناء الإستعمار، وهو نفس الدور الذي تقوم به الزوايا في إطعام الطعام، وتوفير المبيت لعابر السبيل، كما تعتبر الملاذ الآمن للخائفين على أمنهم وسلامتهم.[33]

لكن هذا الأخير عمل على تحويل هذا العمل إلى نظام السخرة، فأصبح الناس يعملون مجانا، ثم بعد الإستقلال، رجعت أشكال التضامن والتعاون إلى المجتمعات ففي البداية ظهر هذا المفهوم في المناطق غير الحضرية فقط وعرف تطورا في جميع الميادين التقليدية، فعرف عند الرجال في أعمال الحرث والسقي وإكرام الضيوف والبناء وحفر الآبار وكشف الطرقات، أما عند النساء فبرز في غسل الصوف والزرع وإقامة الأعراس وغسل الزرع وتنقيته من الشوائب ونسج الزرابي...الخ .

1) تطورها:

إتخذت التويزة في المغرب العربي عامة والمجتمع الجزائري خاصة أشكالا عديدة، متجسدة في التعاون والتضامن والتكافل الإجتماعي وقد تجلت صورتها في الأندلس من خلال الإحتفال بيوم العصير، والذي كان يقام عند جني محصول العنب، حيث كان يخرج غالبية الفلاحين من قراهم إلى الحقول، فيقيمون أياما لجمع المحصول في جو يسوده الفرح والغناء والرقص، وهي مستمرة حتى اليوم في إسبانيا، [1]، وتتشابه هاته الإحتفالية مع الإحتفالات عندنا في بلاد القبائل، كتويزة " أبذيل " الخاص بجمع الزيتون، وهو قيام جماعة معينة بجمع الزيتون عند أحد أهالي القرية وعند الإنتهاء يقوم هذا الأخير بمساعة من مد له يد العون في عمله، فيكون العمل بهذا الشكل تناوبيا بين إثنين أو جماعتين.[1]

وقد أشار إبن خلدون إلى أن تطور ظاهرة التويزة على مستوى الممارسة، خاضع لدرجة التحول الإجتماعي الذي يتعرض له المجتمع، [2] فهي تتأثر بحالة المجتمع ونوعه، وتتجسد في المناطق الريفية أكثر منها الحضرية، فقد عاش سكان الريف الجزائري في وسط عشائري (قبلي) على أرض مارسو فيها عملهم الزراعي، على أسس تعاونية جماعية، دون أن يكون في داخل هذا النظام تحديد ظاهر لحقوق الأفراد في ملكيتها، فنظام الملكية في الريف في عهد الدولة الجزائرية قبل عام 1830، كان نظاما بسيطا يعتمد على العرف والعادة والقانون الإسلامي، الذي يشجع على قيم التعاون والتعاضد والتكافل، بعيدا عن الملكية الفردية للأرض ووسائل الإنتاج.[3]

إن الأرض الجماعية المشاعة (العرش)، كانت تسود في المناطق التي إستقر فيها البدو وشبه البدو، ومارسو فيها الزراعة والري وإشتركو في ملكيتها، وهي الملكية السائدة لدى غالبية أفراد المجتمع الريفي الجزائري أن ذاك، وتمتد على مساحات واسعة وتقوم بإستغلالها مجموعات تعاونية، تقوم بزراعتها عن طريق التعاون، ولما تعرضت الجزائر للإستعمار الذي عمد إلى جلب المستوطنين وإسكانهم بالجزائر بعد أن حدد العالمين " ريكو " و " وبورديه " أحسن المناطق التي يمكن الإستطان بها، [4] وهي تمتد شمال خط عرض 25°، وهو الخط الذي يمر بمدينة معسكر غربا إلى باتنة فعين البيضاء شرقا، وكان ذلك يعني الإستقرار في السهول الشمالية، وطرد السكان الأصليين من السهول كسهل متيجة، وهذا نتج عنه هجرات جماعية إلى الغرب الوهراني الذي كان لا يزال تحت حكم الأمير عبد القادر، ولما قضى الإستعمار الفرنسي على مقاومة الأمير عبد القادر نزح السكان إلى الصحراء فاقدين 45٪ من أراضيهم، [5]وبهاته العمليه المنظمة وطويلة الأمد من طرف المستعمر، تم تفتيت النمط الزراعي الجماعي الذي كان عاملا قويا

(1) سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1998، ص271.

[1] صفاد صبرينة، الشعر النسائي في قرية رافور " البويرة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستار، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2013،ص ص11-12.

[2] إبن خلدون عبد الرحمان، مرجع سبق ذكره، ص102.

[3] سويدي محمد، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1990، ص ص72-73.

[4] نفس المرجع، ص 74.

[5] نفس المرجع، ص 75.

في إستقرار السكان، وأصبح الريفيون لا يستطيعون العودة إلى أراضيهم، إلا بصفتهم عمالا أجراء في مزارع المعمرين، وبإقتطاع المعمرين أقساما من الأراضي التي لا غنى عنها لحياة الجماعة، أجبر الفلاحون على البحث عن أراضي أخرى أقل خصوبة، وصار الكثيرون منهم مجرد خماسين، مما سبب في تفكك الوحدة الإقتصادية للعائلة والتضامن الإجتماعي في الريف، وكان ذلك أولى بوادر ظهور الفردية في الإنتاج الزراعي.

وقد أثر النمو الحضري السريع بعد الإستقلال على التويزة، بحيث إنتقلت عائلات كثيرة من الريف إلى المدينة، نتيجة مجموعة من الأسباب: [1]

1) .1 عوامل إقتصادية: ناتجة عن وضع الإقتصاد الريفي المتمثل في عدم التوازن بين الموارد والسكان.

1).2 عوامل سوسيولوجية: تتمثل في عدم التنظيم الذي شهده الريف الجزائري، نتيجة لجذب المدن للطاقات الحيوية الريفية بالإضافة إلى حرب التحرير الوطنية التي تسببت في تهديم القرى والمداشر الريفية.

1). 3 عدم التكافؤ في الفرص بين أبناء الريف والمدن في المجال الثقافي الإجتماعي، الأمر الذي دفع أعداد من الريفيين خاصة الشباب، إلى النزوح والخروج عن المجتمع التقليدي.

2) أهمية التويزة :

إن ممارسة التويزة يعني الحصول على فوائد سواء من حيث الجانب المادي أو المعنوي فهي تجمع بين التعاون في مختلف المجالات وتحفظ التماسك والتآزر بين أفراد المجتمع على اختلاف أجناسهم وأعمارهم كما تزيد من حجم التضامن بين ممارسيها، فالجانب المادي للظاهرة يتمثل في محاولة التغلب على ما قد يتعرض له الأفراد من مشاكل اقتصادية، اجتماعية وغيرها فتسدّ أحوال العجز والعوز وتعالج مختلف أنواع الضعف فتزداد قوة ومتانة الروابط الإجتماعية وتخفف من معاناة الأفراد من خلال التكفل بالفقراء والمساكين، وتنجز الأعمال التي فيها عسر بأقل جهد ومال ووقت ممكن فتعم بذلك الفائدة.

أما الفائدة أو النفع المعنوي للتويزة فهو أوسع من المادي بكثير فأساسها التعاون الذي يخلق في نفسية الأفراد الشعور بالوحدة وهذا الشعور يؤدي بهم إلى التكامل فيما بينهم من خلال أدائهم لأعمالهم، إذ تقسم الأدوار فيما بينهم فيأخذ كل فرد دورا معينا متكاملين بذلك في أدائها، فيظهر في الأخير هذا العمل أنه قائم على قدر كبير من التجانس والتناسق في المهام، والتويزة تحافظ أيضا على تماسك المجتمعات إذ أنها نقطة التقاء بين مختلف الفئات من مختلف القبائل والمستويات دون تمييز، فتزداد بذلك شدة الروابط الإجتماعية ويحس حينها الأفراد بالتجانس والتقارب فتختفي الفروق الفردية، ويبقى الفرق الوحيد هو في محاولة كل فرد تقديم أكبر جهد خلال المساعدة.

لو نظرنا إلى أهميتها عبر التاريخ لوجدنا أن لها بالغ الأهمية حيث ساهمت في منع الإستعمار الفرنسي من مواصلة حملته التبشيرية التنصيرية، فمثلت الزوايا سندا ودعما لظاهرة التويزة ومنها كانت تنطلق هذه الممارسة، فحافظت على تماسك المجتمع الجزائري ووحدته، حيث كانت تجتمع مختلف الأعراس والقبائل من مناطق مختلفة، فتنمحي بذلك الفوارق الفردية، وهكذا ظل المجتمع الجزائري يحافظ على وحدته وتماسكه خلال فترة الإستعمار الفرنسي بفضل التويزة التي كرست مختلف مبادئ التعاون والتماسك والتآزر والتآخي بين الأفراد.

أما إذا عدنا لأهميتها من الناحية الدينية نجد أن لها الدور الكبير في المحافظة على علاقات الأخوة وتزيد من متانة وقوة روابط النسب والدم من خلال اشتراك العائلات في الممتلكات كالإشتراك مثال في قطعة الأرض الزراعية فتكون في ذلك الوحدة والإتحاد وهذا من خلال العمل أو حتى أثناء اقتسام الغلة أو الإنتاج في آخر كل تعاون أو حتى من حيث الإشتراك والتشارك في وسائل وأدوات العمل التقليدية، وفي المقابل توجد عدة آيات قرآنية توصي بالتعاون كما أن المولى سبحانه وتعالى أمر عباده بمساعدة بعضهم البعض في جميع مجالالت الحياة على اعتبار أن الفرد يظل عاجزا عن قضاء مهامه بمفرده، فجاءت من بين هذه الآيات الكريمة

[1] سويدي محمد، المرجع السابق، ص 84.

قوله سبحانه وتعالى: « **وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِوَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِوَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** »، [1]ونجد أيضا أحاديث نبوية شريفة تعطي الأهمية البالغة للعمل الذي يكون في إطار الجماعات لأنه يقضي على الأحقاد والفتن والأنانية وحب الذات، حيث يقدم فيها الفرد كل ما يكسبه من جهد مادي أو معنوي ويعين به من يحتاجه ومن بين هذه الأحاديث النبوية الشريفة نجد قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم التالية: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صل الله عليه وسلم: « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا** ». [2]

3) أماكن إنتشار التويزة:

تكثر التويزة في المناطق غير الحضرية التي تمثل فضاء اجتماعي صغير الحجم يتميز عن المدينة بخصائصه التي تمهد الطريق لقيام مثل هذه الممارسات تشكل العناصر المشكلة للفضاء الريفي " كالقرابة، السكن الإجتماعي، النشاط الفلاحي والسلطة العرفية، العلاقات الإجتماعية "، التربة الخصبة لظهور ولممارسة التويزة . [3]

تتميز المناطق الصحراوية والريفية بعدة خصائص عن المدينة مما يجعلها تنفرد بانتشار واسع لهذه الظاهرة، وظهر هذا جليا بعد الإستقلال، أين كان كل فلاح بحاجة لمساعدة الفلاحين الآخرين، فيستدعي جماعة ما لمساعدته، ثم حينما يحتاج الفلاحون الآخرون، تتسارع الجماعة لمساعدته بكل ما تملك.

إن النشاط المهني الغالب في هذه المناطق هو النشاط الفلاحي المتمثل في مختلف أعمال " الزراعة وتربية الأنعام " على اعتبار أن هذه النشاطات هي المصدر الأساسي للكسب في هذه المناطق " فتربية الأنعام ترتكز خصوصا على الأغنام والأبقار والإبل والماعز والدواجن "، وهذا النشاط يعتمد على جهد كبير، ولا يمكن لفرد أو فردين أن يقوما بهذا العمل لوحدهما فيتوجب طلب المساعدة من الآخرين، وحينما يحتاج فلاح آخر للمعاونة، يهرع الفلاحون الآخرون لتقديم العون، وهكذا أصبح كل فرد يحس أن عليه دين لابد من قضائه حينما يحتاج إليه الآخرون.

فمن خلال النظر إلى التاريخ الإسلامي، في المبادئ التي وضعها الإسلام لأهل القرية فالرسول "صلى الله عليه وسلم" لما نزل بالمدينة المنورة أخى بين المهاجرين والأنصار وكان ذلك الإخاء قرابة إجتماعية تجعل الأخ يعين أخاه في الله والمجتمع، كما يعين أخاه في الدم والقرابة، وإن المأخاة التي سنها النبي " صلى الله عليه وسلم" سنة باقية لم يوجد ما يدل على أنها حكم وقتي، وهي صالحة لأن تطبق في كل مجتمع صغير، ليتم التجانس بين وحداته، والتعاون على أسس المودة الواصلة، كما تجسدت قيم التويزة في تعاون أهل القرى فيما بينهم في سداد الخراج وغيره، وقد ظهر ذلك في مصر في الفتح الإسلامي، فقد جاء في تاريخ مصر لإبن عبد الحكم في طريقة الزراعة التي أقرها عمر ابن العاص، [1] أن أهل كل قرية كانو يتظافرون في زراعتها، فقد كان أهل القرية يتولون مجتمعين زراعة مافي حيزها، وكان ناظر القرية أو رئيسها يجتمع بأهل القرية ويوزع الأراضي فيما بينهم كل واحد ومقدرته، ومن يكون عاجزا يقوم غيره مقامه في زراعة مايخصه، والقرية كلها تخرج ماعليها من خراج، وتسد حاجة من يكونون في حال إحتياج من أهلها .

وقد برزت التويزة عند المغاربة أيضا خصوصا عند قبائل" التكنة " التي تسكن بالجنوب المغربي فهذه الأخيرة كانت تضم عدة قبائل مختلفة مما ولد بها صراعات حول من يتولى المشيخة، وقد شهدت هذه القبائل عدة صراعات بسبب الإختلافات العرقية أو بسبب التسمية لكن هذا التقسيم لم يخلق انقسامات فيما بينهم بفضل حسن التسيير والتنظيم في مختلف الشؤون الإجتماعية، بالإعتماد على ديوان للتسيير والتنظيم، هذا الأخير لم يكن يحتوي على قوانين مكتوبة بل كان ينظم المصالح بين السكان بالقوانين العرفية التي وضعها شيوخ القبيلة ليشكلوا الإلتحام والتضامن والتفاهم بين القبائل، هذه القوانين العرفية ساهمت بشكل كبير في ظهور التلاحم والتعاون والعمل التطوعي الجماعي بين السكان من خلال خضوعهم واحترامهم لها، ثم بعد دخول المستعمر

---

[1] سورة المائدة، الآية03.

[2] حديث متفق عليه.

[3] زيزي سهام، التويزة وأبعادها الإجتماعية والإقتصادية والثقافية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستار، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012، ص32.

[1] أبو زهرة محمد، التكافل الإجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي، ط جديدة، القاهرة، 1991، ص83 .

الفرنسي للمغرب عمل على استبدال هذا النشاط المجاني بنظام السخرة وإجبار المواطنين على العمل وفق نظام الخماسة إلى غير ذلك من السياسات بغرض تقليل اللحمة والقضاء عليها ثم بعد الإستقلال، عاد العمل الجماعي " التويزة " من جديد، فخلال فترة الثمانينات حاول أبناء منطقة تغجيجت الواقعة في الجنوب المغربي إصالح العيون والمنابع وحفر الآبار وتضامنوا بعد وقوع الفيضانات والزلازل وعملوا أيضا على بناء الجسور وتنظيف المقابر إلى غيرها من مختلف الممارسات التي تدل على اللحمة والتعاون بين أفراد القبائل.

كما أن من بين الأسباب التي جعلت ظهور التويزة أمرا ضروريا هو الخوف من وقوع تلف المنتوجات الزراعية بانتظارها لوقت طويل في مكان نضجها " المزارع "، فوجب على الفلاح المعني بالمنتوج جمع أكبر قدر ممكن من المتطوعين لضمان سلامة المحصول الزراعي[2]

4) التويزة في المجتمع الجزائري:

يشتهر المجتمع الجزائري بروابط اللحمة والتضامن والتماسك ويتجسد ذلك على مستوى عدة أنظمة، ففي غرداية مثلا وحسب ما لمسته من خلال زيارات متعددة وبالتحديد " بونورة " نجد أن نظام العزابة الذي يترأسه مجموعة من المشايخ، عمل على تدعيم مثل هذه الممارسات " التويزة " حيث يقوم هذا الأخير بجمع فئة من الأطفال ما بين سبعة وأربعة عشر سنة ويقسمون إلى ثلاث فئات:

- فئة تجمع المأكولات من البيوت وتطبخها.
- فئة أخرى تقرأ وتطالع كتابا معينا.
- فئة ثالثة تجمع الأوساخ من الحي وبذلك يكون هذا النظام قد حقق ثالث خدمات للمجتمع " تنظيف الحي، الإستفادة من المطالعة بعد محاولة شرح وتلخيص الفئة التي كانت تطالع للفئتين المتبقيتين ما استخلصته من المطالعة ثم الحصول على الأكل ".

إن المجتمع المزابي يعمل على تكريس الروح الجماعية من خلال توفير لهؤلاء الأطفال مزارع جماعية فبعد الإنتهاء من الأكل يجمع ما تبقى ليؤخذ لهذه المزارع التي تحتوي على تربية الدواجن وبالتالي لا يضيع أي شيء.

إن نظام العزابة يعمل على استمرار عملية التكافل الإجتماعي والتماسك من خلال العمل الجماعي فنجده يسهر على خدمة المسجد من خلال تويزة خاصة به تعرف عندهم بـ " إمسوردان " إذ يجتمع عدد من الشباب وينظفون المسجد ولهذا النظام دور آخر يتجسد في محاولة توفير الأكل لعابري السبيل أثناء الأعراس، إذ يقام شريط يكون بمثابة منطقة عبور بين المنزل الذي يقام فيه العرس ومنزل آخر يجاوره لتسهيل عملية إطعام عابري السبيل، ثم إن للمرأة أيضا تويزة خاصة بها تعرف بـ " تمسيرزين " وهي عملية غسل الأموات من البنات والنساء و الأولاد دون خمس سنوات.

إن التعاون من أجل إنجاز مختلف الأعمال أمر ضروري في بعض المجتمعات وهو الحال نفسه في بعض المناطق الجزائرية التي لا تزال لحد الآن تحافظ على هذه الميزة، فلا زال أفرادها يحافظون على مبدأ التعاون ويعملون على تجسيده في مختلف ميادين الحياة الإجتماعية، نظرا لصعوبة الظروف، فالتعاون غير الرسمي بين السكان في شتى جوانب الحياة الإجتماعية، أحد الخصائص التقليدية للمجتمعات غير الحضرية، لقد عرف " جيلان jilin "، هاته الممارسات بأنها " سلوك متكرر يكتسب اجتماعيا، ويمارس اجتماعيا، ويتوارث اجتماعيا "[1] إن تيميمون وكغيرها من مناطق الجزائر الشاسعة تتميز بالعديد من العادات المتضمنة مبادئ التكافل والتآزر والتعاون، والتي لا تزال مصدرا للوحدة والتفاهم والإحترام بين أفرادها، أذكر منها: ما يطلق عليه " إيقاع التويزة "،[2] وتعني التضامن، وأصل الإيقاع مبني على فكرة العمل الجماعي المقرون بأدائه، والهدف منه هو تنشيط العمال وتحفيزهم نحو العمل أكثر، يبنى إيقاع التويزة أساسا على أصوات الطبل الممزوج ببعض الأداءات الجماعية لبعض المقاطع الغنائية الخاصة،

---

[1] صفاد صبرينة، مرجع سبق ذكره، ص ص10-11.

[2] عقباش مبروك وآخرون، أدرار واحات الفن وقصور الأمان، الوكالة الفنية للسمعي البصري والإتصال، أدرار، الجزائر، 2013 ، ص 57.

حيث يكون أصحاب الطبل وجها لوجه، كما يشترك العمال أيضا في أداءات هذا الإيقاع بداية ونهاية، أما عن أوقاته فإنه يؤدى في كل مناسبات التعاون الجماعية من إصلاح للفقاقير، ومواسم الحصاد " تامفرة " إن طابع المنطقة يفرض على الشخص الكد والعمل من أجل بناء أركان الحياة الرغدة، لذا نجد أن الطابع الزراعي هو الميزة لمختلف أقاليمها، فعند إرسال النغمات نكتشف أن لها فائدتين ضروريتين للعامل، فالأولى هي تسِليته، والثانية هي تنظيم حركته البدنية، وتحفيزه لبذل مجهود أكبر، ومما يردد في بعض مواسم الحرث قولهم:

أمحمد أنبينا... أرسول الله أسيدي

هادي طرحتنا يا سيدي... طرحت نابينا يا سيدي

هادي فرارة يا سيدي... قمون بغرارة يا سيدي

أما عند الغرس فيقولون:

بسم الله و الصلاة على رسول الله... يا ربي أرزقنا وأرزق المسلمين

بالإضافة إلى مرحلة الدرس " آسروت "، ومناسبات نزع الرمال " أفراڤ "، وفك العزلة وغيرها.... [1]

إن خضوع الفرد لهذا المبدأ لا يجعله يحس على الإطلاق أن هناك ضغطا أو قهرا يمارس عليه فيشارك في مختلف الأعمال التضامنية والتعاونية، إذا كانت مبادئ الإنقياد وتشابك الحياة الإجتماعية تبدو وكأنها تخنق الحياة الشخصية، سيكون من المفيد أن نشير بأن الشخص لا يحس هذا الضغط كإرغام قاهر من حيث أن المحافظة على التضامن الإجتماعي هو مبدأ له ما يبرره وحيوي بالنسبة للفرد نفسه بالمقارنة إلى التعبير عن أصالة الشخصية ومنه فإن هذا الشعور يجعل من التويزة ممارسة معنوية قبل أن تكون مادية من خلال استجابة الفرد لمساعدة غيره دون إرغام أو قهر أو إجبار، فأساسها الإيمان بمبدأ التعاون وتبادل المساعدة في حدود الإمكان وتخفيف الأفراد عن بعضهم البعض.

إن ممارسة التويزة عند الرجال تقتصر فقط على إنجاز العمل المعلن عنه أي أنهم يشغلون دورا واحدا في غالبية الأحيان، لكن إذا نظرنا إلى الدور الذي تقدمه المرأة، نجدها تشغل دورا مزدوجا فهي تقدم يد المساعدة من جهة أثناء الحرث أو الجني كما يتوجب عليها من جهة أخرى أن تقدم وتعد المأكل والمشرب للمشاركين لكن هذا يبقى دائما متعلقا بوجود المرأة داخل نسق القرابة الدموية التي تمنح لها حرية العمل والتنقل بين هذه الجماعات الممارسة للتويزة دون حرج أو تكلف، وهكذا وبعد إتمام العمل المطلوب إنجازه من خلال التعاون يرجع كل متطوع لمنزله، فإذا كان المُتوّز له ذو إمكانيات، فإنه يقوم باستقبال المتطوعين مرة أخرى ويعد وليمة بحسب قدرته المادية، وتكون على شرف المتطوعين المساعدين له شكرا لهم على ما قدموه من عون، فإن عجز عن ذلك يكتفي بشكرهم فقط معنويا.

ومنه فإن هذه الممارسة لها بعدان، بعد مادي وبعد معنوي نفسي لما تخلفه من آثار إيجابية في نفسية المتطوعين من جهة وفي نفسية المُتوّز له من خلال رفع المشقة عنه، وهذا الإحساس المشترك يزيد من توطيد العلاقات الإجتماعية بين الأفراد، ويزيد كذلك من تضامنهم وتعاضدهم مع بعضهم البعض

ويظهر هذا من خلال النتائج المترتبة عن هذه العملية كالتخفيف من معاناة الأفراد والحفاظ على تماسك الجماعة والمجتمع ووحدته ومحو الفروق الجوهرية بينهم. [2]

أما إذا تطرقنا لها من حيث الجانب المادي، فإن هذه الممارسة " التويزة " تخفف من معاناة الفرد والجماعة من نقص الإمكانيات المادية التي هي في غالب الأحيان السبب الرئيسي للدخول في هذه الممارسة، ولقد حدثني أحد أبناء زاوية "الحاج بلقاسم" بتيميمون، بأنهم يختارون يوم عطلة الأسبوع كيوم تطوعي لمن يحتاج إلى مساعدة الناس في بناء منزله، في المقابل يعد لهم المتوز له وجبة الغداء،

[1] عقباش مبروك وآخرون، المرجع السابق، ص 67.

[2] قرني محمد حسن، المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2010، ص 238.

كما هناك أيضا تويزة " العزابة " بغرداية حيث يتم تزويج مجموعة من الشباب، ويقام له حفل جماعي تتخلله مجموعة من الإحتفالات والأناشيد في حضور الكبار والصغار، هذا ما شهدته في أخر زيارة لي لغرداية " ديسمبر 2016 ".

5) و اقع التويزة في مجتمع تيميمون:

هناك عديد التجسيدات لهاته التويزة في منطقة تيميمون، كالتويزة المتعلقة بالفقارة، وكذلك تويزة " أفراف "، وقد إتضح لي من خلال المقابلة مع عمي " بلقاسم- أسلافي "، من زاوية الحاج بلقاسم، بأن التويزة هي عملية تتجسد فيها مجموعة من المبادئ كالتالي :

5).1 مبدأ الإستمرارية :فهي عملية مستمرة من الحقب السابقة، إنتقلت من جيل الأجداد إلى الآباء، وصولا إلى الجيل الحالي.

5).2 مبدأ تقسيم العمل :حيث يشترك في العملية هاته الجميع، كل حسب قدراته، من شيوخ وشباب ونساء وأطفال، ومن خلال ذلك يحدث ذلك التناغم والتكامل في الأدوار، ففي حفر الفقارة، هناك من ينزل إلى الأسفل لفتح السد المنغلق، وهناك من يقوم بإخراج الحجارة إلى الأعلى، وهناك من يقوم بالمديح والتهليل، وهناك من يطهو الطعام، وأشير إلى أن للمرأة أدوارا متعددة في منطقة تيميمون، وضحته معاينتي للمزارع، فقد وجدت أم مرافقي وأخواته يعملن هنالك، ما يؤكد تعدد أدوار هاته الفئة من الدور البيولوجي، إلى التربوي، فالإقتصادي.

5). 3 التويزة عملية منظمة :يتضح ذلك من خلال " البراح " الذي يدعو الناس للتجمع بالمسجد، لرسم الإجراءات اللازمة من أجل الإنطلاق في صيانة الفقارة، وبذلك يتم اختصار الوقت والجهد من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة، فالتعاون في الفقارة مثلا يؤدي إلى إحيائها من جديد وبالتالي إحياء المزارع التي تسقيها، والتعاون في البناء هو تأسيس منزل جديد وبالتالي أسرة جديدة، والتعاون في تزويج الشباب، هدفه القضاء على العنوسة وما يتصل بها من آفات، تهدد استقرار المجتمع.

ووجب أن أذكِّر أن مبحوثي قد أكد في كلامه، أن المبادئ السالف ذكرها قد تأثرت نوعا ما بتغير حالة المجتمع، وتحول نظام عيشهم اتجاه المدنية نوعا ما، بعد أن كان يعتمد على الزراعة فقط سابقا، وهذا دليل على أن العولمة ألقت بظلالها على هاته المنطقة محل دراستي، وتبقى درجة التأثر تختلف عن مناطق الشمال، أضرب مثلا على ذلك ليس حصرا، بمنطقة سكناي تيارت، فنمط السكن القديم اختفى تماما على عكس، منطقة تيميمون، وذلك لأسباب تاريخية كالطابع الكولونيالي الذي خلفته الحقبة الإستعمارية، والذي يغلب على كل مناطق تيارت، سواء في المدن، أو الأرياف ما يسمى " les fermes " في حين تتضح معالم بناء قديم تعود لقرون من الزمن " القصور " في منطقة تيميمون، هذا لا يمنع وجود سكنات عصرية تتماشى والنمط العمراني المتواجد في شتى مناطق البلاد، خاصة في وسط مدينة تيميمون، ثم إن هاته القصور المسكونة قد تكون احد العوامل المشكلة، والمؤثرة في ثقافة الإنسان التيميموني، وهو ما أكد عليه ابن خلدون حول نمط العمران وعلاقته بعقلية وتفكير المجتمع، فمحافظة السكان على نمط العمران الخاص بمنطقتهم، دليل على عدم تاثرهم بالعولمة إلى الحد الذي يجعلنا ندق ناقوس الخطر، مقارنة بدرجة التأثر في منطقة تيارت سكناي بالشمال الجزائري.

5).4 التويزة عملية إيمانية :إن التويزة في أولى مبادئها، مبنية على نية إرضاء الله، وهو ما أكد عليه " الأستاذ- باقة "، من اولاد سعيد لما شرح لي التويزة المتعلقة بالفقارة، فإعلانها الأول يكون من المسجد وهذا يدل على ذلك الرابط الروحي بين المسجد والسكان، فالنداء لما يأتي من هذا المكان، وجب أن يلبى، فالمسجد ليس مكانا للصلاة فقط، بل له دور سوسيوثقافي، يتم من خلاله قضاء حوائج الناس، والنظر في مسائلهم، إذن هناك تفاعل رمزي بين السكان والمسجد، من خلال التويزة المتعلقة بالفقارة، وكذلك التويزة المتعلقة بإزالة الرمل عن الطريق أو عن المزارع، ما يسمى بـ" آفراف " التي تنطلق كلها من المسجد التماسا للبركة.

كما يتجلى ذلك الرابط الروحي، من خلال الكلمات التي يرددها الأفراد أثناء ممارسة التعاون " التويزة" ، ك" بسم الله بديت " " لا إله إلا هو ربي سبحانه" ، وهي إيحاءات تدل على أن عملهم موجه إلى قوة غيبية يرجون مساعدتها، " القوة الإلهية" ، حسب ما أكده " الأستاذ بوفاشوش "، هذا لا يمنع وجود بعض الأفراد يقدمون مساعداتهم للضرورة المجتمعية، أي من باب الواجب، حتى لا يتعرض للنفي المجتمعي وينبذ من طرف السكان، وهناك من لا يلبي النداء ولا يهمه لا واجب ولا دين،،وهو ما أكده السيد " كركور "حين حديثه عن آخر تويزة للفقارة أقيمت بقصرهم، حيث لم يلبي النداء سوى إثنى عشر شخصا وقد أكده أيضا تقرير ل " جزايرس " من خلال مقال نشر في جريدة " الجمهورية يوم " 23- 10-2010 " ، حول تناقص التويزة في مجتمعنا، وتبريرهم في ذلك

مادية الناس وأنانيتهم والبراغماتية التي طغت على تفكيرهم، حتى صارو يرون التويزة مجرد موروث قديم، كان لمرحلة ظل أناسها يرزحون في البساطة والفقر وهو ما نفاه الدكتور" قدودة " بقوله: " وإن كان الغنى هو غنى النفس، إلا أن التويزة كانت تحقق للجميع ما يطمحون إليه، من سكن وملبس ومأكل، وكانت راحة البال والطمأنينة تمنع كثيرا من أمراض العصر كالقلق، الذي يعد اصل العديد من الأمراض الأخرى، التي لم يعرفها الأجداد سابقا.[1]

خاتمة:

وفي الأخير وجب أن نقول بأن الخير لا يكون و لا يتجسد إلا في إطار جماعات وهذا ما تعمل التويزة على المحافظة عليه من خلال إشراك مختلف الفئات في ممارسة هذه الظاهرة، فالإرث الثقافي الإسلامي والعربي والحكم المأثورة والقصص الشعبية غنية بمعاني الترابط والتعاون والتضامن ونجد من أشهرها:

- **المرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه:** وهي دليل على أن الإنسان فهو لن يستطيع التخلي عن الجماعة، ولن يستغني عنها أبدا، فالإنسان اجتماعي بطبعه، ويحتاج إلى الناس مثلما يحتاجون إليه.
- **اليوم عليا وغدا عليك:** مفاده أن أعباء الحياة وجب أن يتقاسمها الناس، وقد يقابله في اللهجة العامية مفهوم " الواجب "، يعني سأقف معك اليوم، وسيبقى دينا عليك حين أحتاجك.
- **في الشركة بركة:** وهنا لها معنى إيماني واضح، يد الله مع الجماعة، ويقابله المثل المعروف " يد وحدة ما تصفق "، يعني أننا لما نتعاضد ونتعاون ونصفي النوايا ربي يرزقنا من حيث لا يحتسب، وقد ينطبق المثل الأول حتى في تداعي الجماعة على قصعة الطعام، فالبركة تنزل لما يشترك الطعام جماعة، وتكون القناعة تلك الروح الأخوية، وينزع الشخص الأكل من أمامه ليقدمه لأخيه.
- **عاونه بيد يعاونك بزوج:** وهذا فيه تشجيع على البذل والعطاء، فأنت لما تساعد أحدا اليوم، فسيكون كريما معك يوما وآخرا، ويرد جميلك ضعفا، وهو نفسه معنى المثل التالي "غني للجماعة، والجماعة تغني لواحد ".
- **المعاونة فالنصاري ولا القعاد خسارة:** وهو مثل يحث على العمل، وينبذ التكاسل والتخاذل، فالإنسان السوي لا يأبى المساعدة وتقديم يد العون، ولو اقتضى الأمر مساعدته البعيد الذي لا يعرفه.

قائمة المراجع:

المصادر:

- القرءان الكريم.
- الحديث النبوي الشريف.

الكتب:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 1998.
- حمد حسن قرني، المجتمع الريفي في الأندلس في عصر بني أمية، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2010.
- زيزي سهام، التويزة وأبعادها الإجتماعية والإقتصادية والثقافية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستار، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، 2012.
- مبروك عقباش وآخرون، أدرار واحات الفن وقصور الأمان، الوكالة الفنية للسمعي البصري والإتصال، أدرار، الجزائر، 2013 .
- محمد أبو زهرة، التكافل الإجتماعي في الإسلام ، دار الفكر العربي، ط جديدة، القاهرة، 1991.
- محمد سويدي، مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1990.

[1] غانم. ص، التويزة موروث إجتماعي في طريق الزوال، جريدة الجمهورية، الجزائر، 23-10-2010.

- صفاد صبرينة، الشعر النسائي في قرية رافور " البويرة"، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستار، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، 2013.

- عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، ط5، 1984.

المصادر:

- غانم. ص، التويزة موروث اجتماعي في طريق الزوال، جريدة الجمهورية، الجزائر، 23-10-2010.

زايد أحمد، سيكولوجية العلاقات بين الجماعات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2006.

أنتوني غيدنز، علم الإجتماع، ت.الصباغ فايز، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط4، 2001.

محمد الصالح حوتية ، توات والأزواد، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع والترجمة، الجزائر، ج1، 2007.

مرسي محمد عبد المعبود، علم الإجتماع عند تالكوت بارسونز بين نظريتي الفعل والنسق الإجتماعي، مكتبة العليقي، القصيم، السعودية.

مبروك مقدم، الفقارة في قصور توات وأحوازها النشأة والتعريف، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط1، 2016.

فيليب لابورت تولرا. جان بيار فارنييه، إثنولوجيا أنثروبولوجيا، ت. مصباح الصمد، مؤسسة مجد الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

عبد الله الخريجي، علم الإجتماع الديني، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية، ط2، 1990.

Boualem remini et autre, la foggara en algérie un patrimoine hydraulique mondial, Revue des sciences de l'eau ,université Saad Dahlab, Blida, algérie, vol 23,n 2, 2010,